المحاضرة السابعة :

أهمية الأدب المقارن

أ.م.د. علي مجيد البديري
جامعة البصرة / كلية الآداب

لا تقتصر أهمية الأدب المقارن على المقابلة بين نصين ينتميان إلى أدبين مختلفين، والتعريف بمزايا كل منهما، كما يرى البعض في نظرة متجنِّية، تغالط نفسها قبل الواقع الذي يمتلئ بوسائل الاتصال بالآخر ولا يكف عن تطوير هذه الوسائل، والتفكير في اختراع الجديد منها. فللدراسة الأدبية المقارنة ضرورة يفرضها الفضاء الثقافي الذي تتعدد فيه الأصوات وتتفاعل، وتتثاقف فيما بينها، لتحقيق أقصى درجة من التواصل، والتعايش فيما بينها .

من هنا نجد أنَّ حصر أهمية الأدب المقارن في نقاطٍ محددةٍ أمرٌ مستصعب، غير أن ذلك لا يمنع من التعرف على بعض وجوه هذه الأهمية، وهي:

١ـ يُمكِّن الأدبُ المقارن القارئَ ـ من مختلف مستوياته وأنماطه سواء كان قارئاً عادياً أم مختصاً ـ من الاطلاع على الآداب الإنسانية الأجنبية، والتعرف على عناصر الاشتراك والمشابهة فيما بينها وبين الأدب القومي، وعلى المزايا النوعية الخاصة بكلٍ منهما. مما يسهم من جانب آخر في تحفيز القارئ على تأمل الصلات الإنسانية والثقافية التي تجمعه بالآخر، عبر صورة من صورها المتجسدة في الآداب .

٢ـ توفر دراسة العلاقة ما بين أدبين أو أديبين مختلفين ـ التي تجمع بين البحث التاريخي وبين التأمل النقدي أو الجمالي على نحو خاص ـ فرصةً للأدب المقارن للمساهمة في تجديد حياة الفن المعاصر[١]، وكذلك يمكن للمقارنة، التي تعنى بالكشف عن مصادر بعض الظواهر الموجودة في الأدب القومي ودراسة مرجعياتها، أن تحدد ما هو أصيل في هذا الأدب وما هو وافد عليه، وستقترح عبر معالجتها النقدية طرائق ناجعة للتعامل مع هذا الوافد، والاستزادة من فرص الإفادة منه. ومن هنا تكون صلة الأدب المقارن بالنقد الأدبي وثيقة وكبيرة؛ فكلاهما يعنى بفحص مكونات النصوص وخصائصها، وتنفرد المقارنة بإضاءة علاقات النصوص الخارجية بغيرها في الثقافات الأخرى.

---

(١) ينظر : أزمة الأدب المقارن : رينيه إتيمبل ، ضمن كتاب : دراسات في الأدب المقارن : مشترك ، إعداد وترجمة : د. محمد الخزعلي ،إربد ـ الأردن ، ١٩٩٥ : ١٣٣ـ ١٣٤

٣. تساعد الدراسةُ المقارنة المثقفَ والأديبَ ـ على نحو خاص ـ على متابعة المستجدات في الآداب العالمية، وربطها بالتطورات الاجتماعية والسياسية التي يعد التطور الأدبي جزءاً منها. وتسهم بحوث الأدب المقارن من خلال ذلك في تحقيق معرفة أفضل للإطار الموضوعي العام للتطور الأدبي، وتفسير أسباب تبنّي الأدباء لبعض التوجهات الفنية التي يفضلها الجمهور في مرحلة ما.